



وصلتُ مدينة الطائف [1] ونزلت في فندقٍ بمنطقة (الحوية) أقربٌ حيًّا سكنيًّا إلى سوقٍ عُكاظ.
دخلت محلَّ (التموينات) المجاور واشتريت بعضَ الحوائج...
وسألتُ البائع - وكان شابًا سعوديًّا قويًّا البنية وافرَ الهمة - عن أيسِر السُّبُل للوصول إلى عُكاظ، وكم يفترض أن يأخذَ صاحب سيَّارة الأجرة (التكسي).

ففاجأني بقوله: ما لك وللتوكاسي!
هذه سيَّارتي في الخارج اذهب بها على أن تعيدَها إليَّ قبل الثانية عشرة ليلاً!
ظننته يمنح، فأنا له الثقة بي وبزميلي مهندس الألوكة ولم يرَنا إلا الآن؟!
ولكنَّ لهجته كان فيها الكثيرُ من الصِّدق والجِدِّ.
وبعد صلاة العصر مضينا إليه، وما إن رأنا حتى بادرنا بمفتاح سيَّارته...
ووجدتُني آخذُه بلا تردد!
ركبنا السيَّارة الحديثة من طِراز (كابريوس)، وانطلقتُ بها مسافة خمسة وعشرين كيلومترًا إلى حيثُ سوق عُكاظ.

أَنْجَنَا عَمِلْنَا فِي مُعْرِضِ الْكِتَابِ الْإِلْكْتَرُونِيِّ ثَمَّةَ، وَعُدْنَا إِلَى الْفَنْدَقِ قُبْلَ الثَّانِيَةِ عَشَرَةَ، وَعَرَجْنَا عَلَى صَاحِبِنَا، وَأَعْدَتُ إِلَيْهِ

مَفْتَاحَ سِيَارَتِهِ، وَأَخْرَجْتُ لَهُ مَائَةً رِيَالٍ لِقَاءً اسْتِعْمَالِنَا لَهَا...

فَإِذَا بُوْجَهَ يَكْفُهُرُ وَيَبْدُو عَلَى قَسَمَاتِهِ الْامْتِعَاضِ!

وَقَالَ عَاتِيًّا: أَعْطِيَتُكُمْ سِيَارَتِي لِأَنِّي مُتَبَّقِّنُ أَنْكُمْ لَنْ تَجِدُوا سِيَارَةً فِي الْمَسَاءِ تُعِيدُكُمْ مِنْ عُكَاظٍ، وَأَنَا جَالِسٌ فِي الْمَحَلِّ إِلَى

مِنْتَصَفِ الْلَّيلِ، وَالسِّيَارَةُ وَاقِفَةٌ فِي الْخَارِجِ بِلَا فَائِدَةٍ، وَقَدْ ارْتَحَتْ لَكُمْ وَرَغْبَتْ فِي مَسَاعِدِكُمْ!

لَمْ أَمْلِكْ أَمَامَ شَهَامَتِهِ وَصَدَقَ عَبَارَتِهِ إِلَّا أَنْ أُعِيدَ النَّقْوَدَ إِلَى جَيْبِيِّي، وَأَشْكَرَهُ مَتَّلِعْشَمِّاً، وَأَخْرَجَ مَذْهَوْلًا مِنْ تَصْرُّفِهِ وَكَرِيمِ فَعْلِهِ!

وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبْ أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْنِي عَنْ اسْمِي وَلَمْ أَسْأَلْهُ عَنْ اسْمِهِ، وَلَمْ يَطْلَبْ رَقْمَ جَوَالِيِّ!

وَلَوْ أَنِّي مَضَيَّتُ بِسِيَارَتِهِ وَلَمْ أُعِدَّهَا، لَمَا كَانَ بِإِمْكَانِهِ الْإِهْتِدَاءُ إِلَيْهِ!

فَارْقَتُ هَذَا الْأَخَّ الْكَرِيمُ وَلَمْ أَعْرِفْ عَنْهُ إِلَّا أَمْرًا وَاحِدًا...

إِذْ أَلْفَيْتُهُ حِينَ أَعْدَتُ إِلَيْهِ الْمَفْتَاحَ يَشَاهِدُ قَنَّاَةَ (السُّورِيِّ الْحَرِّ)..

فَقَلَّتْ لَهُ: مَا شَاءَ اللَّهُ تَبَاعُّ أَخْبَارَ ثُورَتِنَا الْمَبَارَكَةِ؟

فَأَجَابَنِي: إِنْ شَقِيقِي الْآنُ هُنَاكَ يَجَاهُ فِي لَوَاءِ أَحْرَارِ الشَّامِ.

بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ، وَفِي أَخِيهِ الْمُجَاهِدِ، وَفِي بَطْنِ حَمْلِ، وَأَبِ رَعِيِّ...

وَأَكْثَرَ فِي الْأَمَّةِ أُمَّالِهِمْ... مَمْنُ بَاتُوا مَعْدِنًا نَادِرًا نَفِيسًا...

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا أَنْ أَبْقَى فِينَا مِنْ يَجْعَلُنَا نَقُولُ:

مَا زَالَ فِي النَّاسِ بَقِيَّهُ، مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْحَمِيَّهِ!

[1] كَانَ ذَلِكَ ضُحَى الْخَمِيسِ 13 مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ 1434 هـ (19/9/2013 م).